145

من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين الآيات واما قوله تعالى في
ظلمات ثلاث فقال ابن عباس ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة
وقيل الصلب والرحم والبطن ذلكم اي العالي المراتب بشانها ذلكم ايها الخلق
كلكم بعضكم بلسان مقاله وبالبعض بعضكم بناطق حاله الذي جميع ما ذكر من
اول السورة الى هنا من افعاله ولما اشار الى عظمته باداة البعد اخبر
عن اسم الاشارة بقوله تعالى الله اي الذي خلق هذه الاشيا ربكم اي المالك
والمربي لكم بالخلق والرزق فهو المستحق لعبادتكم وقوله تعالى له الملك
يفيد الحصر اي له الملك لا لغيره ولما ثبت انه لا ملك الا له ثبت القول
بانه لا اله الا هو اي لا يشاركه في الخلق غيره ولما بين بهذه الدلائل كمال
قدرته ورحمته زيف طريقة المشركين بقوله تعالى فانى اي فكيف ومن
اي وجه تصرفون عن طريق الحق بعد هذا البيان ان تكفروا فان الله
اي الذي له الكمال كله غني عنكم لانه تعالى ما كلف المكلفين ليجر الى نفسه
منفعة او ليدفع عن نفسه مضرة لانه تعالى غني على الاطلاق فيمتنع
في حقه جر المنفعة ودفع المضرة لانه تعالى واجب الوجود لذاته وواجب
الوجود لذاته في جميع صفاته يكون غنيا على الاطلاق وايضا فالقادر
على خلق السموات والارض والشمس والقمر والنجوم والعرش والكرسي
والعناصر الاربعة يمتنع ان ينتفع بصلاة زيد وصيام عمرو وان يستضر
بعدم صلاة هذا وصيام ذاك ولا يرضى لعباده اي لاحد منهم الكفر
اي بالقبال على سواه وانتم لا ترضون ذلك لعبيدكم مع انكم مثلهم في
غاية الضعف ومعنى عدم الرضا به لا يفعل فعل الراضي بان ياذن فيه ويقر
عليه ويثيب فاعله ويمدحه بل يفعل فعل الساخط بان ينهى عنه ويذم
عليه ويعاقب مرتكبه وان كان بارادته اذ لا يخرج شيء عنها وهذا قول قتادة
والسلف اجروه على عمومه وقال ابن عباس ولا يرضى لعباده المومنين

الكفر

الكفر وهم الذين قال الله تعالى فيهم ان عبادي ليس لك عليهم سلطان
فيكون عاما في اللفظ خاصا في المعنى كقوله تعالى عينا يشرب بها عباد الله
يريد بعض العباد وان تشكروا لله تعالى اي فتوحدوا ربكم وتطيعوه يرضه
لكم اي فيثيبكم عليه لانه سبب فلاحكم وقرا السوسي في الوصل بسكون الهاء
وللدوري وهشام وجهان السكون والضم وصلة الهاء بواو للدوري
وابن كثير وابن ذكوان والكسائي والباقون بالسكون وهو لغة فيه ولا تزر
اي نفس وازرة وزر اي وزر نفس اخرى اي لا تحمله بل وزر كل نفس عليها
لا يتعداها يحفظ عليها مدة كونها في دار العمل واحتج بهذا من انكر وجوب
الدية على العاقلة ورد بان السنة خصصت ذلك واما الاثم الذي يكتب
على الانسان بترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فليس وزر غيره وانما
هو وزر نفسه مع وزر الفاعل على الفعل ووزر الساكت على الترك لما لزمه
من الامر والنهي وقوله تعالى ثم الى ربكم مرجعكم يدل على اثبات البعث
والقيمة فينبئكم بما كنتم تعملون فيه تهديد للعاصي وبشارة للمطيع
وقوله تعالى انه عليم اي بالغ العلم بذات الصدور اي بما في القلوب
كالعلة لما سبق اي انه ينبئكم باعمالكم لانه عالم بجميع المعلومات فيعلم
ما في قلوبكم من الدواعي والصوارف قال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى
لا ينظر الى صوركم ولا الى اموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم ولما بين تعالى
فساد القول بالشرك وبين تعالى انه الذي يجب ان يعبد بين ان طريقة
الكفار متناقضة بقوله تعالى واذا مس الانسان اي هذا النوع الآنس
بنفسه ضر دعا ربه لانهم اذا مسهم الضر طلبوا رفعه من الله تعالى
واذا زال ذلك الضر عنهم رجعوا الى عبادة الاصنام وكان الواجب عليهم
ان يتعرفوا بالله تعالى في جميع الاحوال لانه القادر على ايصال الخير ودفع
الشر فظهر تناقض طريقتهم والمراد بالانسان الكافر وقيل المومن والكافر

Copyright © King Saud University